المنهج النبوي في تطوير الكفاءات القيادية وصناعة التميّز

The Prophetic approach in the development of leadership competencies for excellence

بوفلجة غيات

Boufeldja Ghiat

جامعة محمد بن أحمد، وهران 2، الجزائر، ghiat_boufelja@yahoo.fr

تاريخ الارسال : 2020/02/14	تاريخ القبول : 2020/04/03	تاريخ النشر : 2020/06/10

ملخص:

كان العرب عبارة عن قبائل متخلفة ومتناحرة. وقد جاء الإسلام فحولهم إلى قوة هزمت أعداءها وتوسعت توسعا كبيرا. لم يكن ذلك ليتم دون شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنهجه في التعامل مع الصحابة والمسلمين عموما، مما جعله قدوة حسنة ومنارا للمسلمين جميعا .

أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم هو إصلاح عقيدة أتباعه، وقد اعتمد أساليب علمية لبناء شخصية الإنسان المسلم.، حيث اتصف بالصدق والأمانة والإيثار والمحبة والعمل والإتقان والإخلاص والعدل والمساواة. وهي جوانب وخصائص تميز بها المنهج النبوي .

تتطرق هذه الورقة إلى المنهج النبوي في بناء شخصية المسلم، وسبل دفعه إلى العمل وإتقانه وخصائص القيادة الرشيدة. وهو ما يساهم في وضع معالم نظرية في الإدارة والتنظيم، يمكن تطبيقها بطرائق عصرية للوصول بقادتنا وإداراتنا ومؤسساتنا إلى درجة من الجودة والتميز.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، المنهج النبوي، القدوة، القيادة الرشيدة، الكفاءات القيادية، صناعة التميز.

Abstract:

The Arabs were backward and rival tribes. Islam has turned them into a force that has defeated its enemies and expanded considerably. This would not have been done without the character of the Prophet and his approach to dealing with the Sahaba and Muslims in general,

المؤلف المرسل: بوفلجة غيات، الإيميل: ghiat_boufelja@yahoo.fr

which made him a good example and a beacon for all Muslims .

The prophet's first act was to reform the faith of his followers, and he adopted scientific methods to build the personality of the Muslim man, where he was characterized by honesty, honesty, altruism, love, work, mastery, sincerity, justice and equality. These are aspects and characteristics that characterize the prophetic approach .

This paper addresses the prophetic approach in building the personality of the Muslim, and ways to push him to work and master him and the characteristics of good leadership, which contributes to the development of theoretical milestones in management and organization, which can be applied in modern ways to reach our leaders, departments and institutions to a degree of quality and excellence.

Keywords: **Islam**, **prophetic approach**, **role model**, **good leadership**, **competencies**, **leadership for excellence**.

مقدمة:

لقد كانت العرب قبل الإسلام تعيش في جاهلية وتخلف وتناحر. كما أنهم عرفوا بامتهانهم التجارة وقولهم الشعر، إذ برز في الجزيرة العربية فرسان مقاتلون وشعراء وتجار أثرياء، وقادة محنكين. مع ذلك لم يتطوّر العرب القدامى ليصبحوا أمة وحضارة ودولة في مستوى ما وصلت له الأمم القوية آنذاك. بل أقصى ما وصلت له بعض قبائل العرب هو إنشاء دول تابعة لغيرها من الأمم مثل ما حصل بالنسبة للغساسنة والمناذرة على تخوم الروم والفرس.

وقد كان عرب الجاهلية في عمومهم يعبدون الأصنام مع وجود أقلية مسيحية وأخرى يهودية. وخير وصف للواقع العربي قبل الإسلام، ما جاء على لسان جعفر بن أبي طالب لنجاشي الحبشة قائلا: "أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف. فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منّا"[1].

كما اشتغل العرب قبل الإسلام بالرّعي والتجارة، حيث اشتهروا برحلتي الشتاء والصيف. وقد سكنت المنطقة قبائل متحالفة أحيانا ومتقاتلة أحيانا أخرى، ومن أهم هذه القبائل قريش التي كانت متمركزة في مكّة وضواحيها.

كلّ هذا تغيّر بعد ظهور الإسلام ونزول الرسالة المحمدية، حيث تحوّل العرب إلى أمّة ذات رسالة، حيث أسّس محمد بن عبد الله ﷺ دولة قويّة تمكنت في النهاية من هزم كلّ من الفرس والروم. وقع ذلك في فترة وجيزة في عمر الحضارات، وقد مرّت بمراحل، من نزول رسالة التوحيد، إلى الهجرة من مكّة إلى يثرب، ثم الشروع في بناء الدّولة بالمدينة المنورة، وصولا إلى فتح مكة وتوسّع الفتوحات الإسلامية، وقد تجسّد جلّ ذلك في حياة الرسول ﷺ.

من هنا تتضح لنا أهمية السنة النبوية الشريفة، ودور المنهج المحمدي، وما يتميّز به من إيمان وتفان وإخلاص وإتقان في العمل، وهو منهج أدى إلى التّطوّر والتقدم. ولما تخلى المسلمون عن تطبيق الإسلام، وابتعدوا عن إتباع سنة رسول الله ﷺ، تخلفوا وأصبحوا لقمة صائغة

في أفواه أعدائهم، الذين احتلوا بلدانهم واستباحوا حرماتهم واستغلوا خيراتهم وممتلكاتهم.

لقد اهتم الباحثون الغربيون بمجموعة من العلوم المساعدة على التطوّر والتقدم، ومنها القيّادة الرشيدة والجودة في العمل والتنظيم، في كلّ المجالات الاجتماعية والسياسية والعسكرية والصناعية والتربوية. كما أن علماء النفس والتربية والإدارة يسعون دوما إلى تطوير المهارات القيادية في مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والمهنية، ويجدّون في صناعة التميز.

وقد ظهرت مجالات علمية متخصصة تعتني بتطوير الكفاءات البشرية عند الأجيال الصاعدة، ومن أهمها التنمية البشرية. وقد أنشأت الدّول المتطوّرة صناعيا مدارس ومعاهد ومراكز للبحث في القيّادة وتدريب القادة، وإعدادهم لمختلف المهام القيادية. يتم ذلك من أجل تسهيل تحكّم الأجيال الصاعدة في الكفاءات والمهارات المختلفة التي تتطلبها أعمالهم، لتحقيق مزيد من الرقي والتطوّر والتقدّم والازدهار لشعوبهم وأممهم.

وهو ما حاولت الدول العربية والإسلامية تقليده من خلال نقل المناهج الغربية في تدريب الكفاءات القيادية التي تحتاجها مجتمعاتهم، وقد فشلت إلى حدّ كبير في تحقيق أهدافها. في حين أهمل المسلمون ثروة علمية لا تقدر بثمن، فيما يمتلكونه من منهج محمدي في تطوير الكفاءات القيادية وصناعة التميّز، والتي أثبتت نجاحها في عهد الرسول ﷺ، وهو ما يجب تثمينه في هذا العصر.

هناك دراسات محدودة فيما يخص الرسول القائد ﷺ[2]، أو القيادة العسكرية في غزوات الرسول ﷺ[3]، أو القيادة الإدارية للرسول ﷺ، إلا الدراسات في المنهج المحمدي في تطوير الكفاءات القيادية وصناعة التميز فهي شبه منعدمة – فيما أعلم –. وهو ما يبرز أهمية هذا البحث في إثراء موضوع التنمية البشرية وتطوير الكفاءات من منظور السنة النبوية الشريفة.

إن تنظير المنهج النبوي في تطوير الكفاءات القيادية يتطلب منا الإجابة على مجموعة من التساؤلات. فما هو سرّ تحوّل العرب من قبائل متنازعة إلى أمة قويّة ومتحضرة؟ وما هي الخصائص القيادية للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، التي جعلته ينجح وينتصر بل يتميّز بأداءاته ونجاحاته؟ وكيف كانت منهجية تطويره للكفاءات القيادية عند أصحابه وعند القادة المسلمين؟ وكيف يمكن الاستفادة من المنهج النبوي في تطوير الكفاءات القيادية في عصرنا الحالي؟ هي تساؤلات نتطرق لها ونحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث.

2. محمّد الرسول القائد:

ما من مجموعة بشرية لها أهداف دينية أو دنيوية ترغب في تجسيدها، إلا ويوجد بينها قائد يدير أمورها ويمتلك زمام المبادرة فيها. فالقائد الناجح هو الذي يكون بإمكانه تحقيق أهداف الجماعة أو الجيش أو الدولة، وهو ما تمكن الرسول محمد ﷺ من تحقيقه، كرسول حمل الرسالة وأدى الأمانة، وكقائد أسس دولة وحضارة على أسس قوية.

لم يكن الرسول ﷺ ملِكا يعيش في قصره العاجي، ولا أميرا يحيط به الخدم والحشم، ولا مَلَكا له عالمه الخاص به، وإنما كان بشرا يمشي في الأسواق ويأكل الطعام، لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾[4].

لقد كان الرسول ﷺ دائما سباقا بين صحابته للعمل بيديه الشريفتين ومقاسما لمعاناتهم. فقد عاني من حصار المشركين في مكة، وعاش حصار كفار قريش لبني هشام في شعاب مكة، وساهم في بناء المسجد النبوي

بعد هجرته إلى مكة، وساهم في القتال بغزوة بدر، وكسرت رباعيته في غزوة أحد، وساهم في حفر الخندق في غزوة الأحزاب، وخرج على رأس الجيش الذي فتح مكة، إلى غيرها من الأحداث والغزوات. لهذا فهو إلى جانب كونه رسولا بعثه الله تعالى للبشرية كافة، فهو قائد متميّز، أثبت قدراته، فأقام الدولة وأنشأ أمة الإسلام على أنقاض قبائل متناحرة، ووضع عربتها على سكة الفتوحات التي توسعت في عهد الخلفاء الراشدين.

لم يكن ذلك ليتحقق لولا قوة شخصيته وقدراته وكفاءاته القيادية، والتي ساهم في نقلها إلى صحابته، من خلال التدريب وتطوير كفاءاتهم القيادية. فتخرّج من مدرسة النبوة عدد كبير من الصحابة والتابعين الذين ساهموا في نشر رسالة التوحيد وتوسّع رقعتها.

يرى محمد فرج أنه "لا يختلف إثنان في أن الرسول كان قائدا متميّزا متطوّرا قادرا على القيادة والتوجيه والإدارة، ولا شك في أنه كانت هناك سمات وصفات هي التي جعلته عليه الصلاة والسلام في مثل هذا المقام الرفيع في مجالات القيادة، وهي التي أهلته ليحتل مكان الصدارة بين القادة أجمعين"[5] .

قد يشير بعض الغربيين إلى محمّد ﷺ كقائد عبقري، إلا أنه كان في الحقيقة أكثر من قائد، ذلك "أن عظمة محمد عليه السلام تتعدى حدود القيادة العادية. فمن المعروف أن تنشئة جيل جديد على مبادئ معينة أمر قد ينجح (...)، بيد أن تغيير مفاهيم رجال تجاوزوا سن الرشد بشكل كامل، وإقناعهم بمبادئ تخالف ما ألفوه وشبّوا عليه أمر معجز خارق للعادة والمألوف"[6].

وحتى أيامنا الحالية، لا زال هناك الآلاف ممن يتخرجون من مدرسة النبوّة، وهم يجوبون أقطار الأرض في إطار الدعوة ورفع كلمة "لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله"، وحتى تكون كلمة الله هي العليا.

وبالتالي، فإلى جانب كونه رسول هذه الأمة فهو قائدها ومعلمها وقدوتها، فقد "بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه من ربه اليقين"[7].

إن البحث عن أسباب تخلف المسلمين، يؤدي بنا إلى ربط ذلك بفشلهم في تدريب قادتهم، والعجز عن منح موضوع القيادة حقه من الأهمية، والفشل في استخلاص النماذج الناجحة في القيادة، وعلى رأسها النموذج القيادي للرسول ﷺ، والعمل على دراستها وتطبيق نتائجها.

وهو ما سنحاول تحقيقه من خلال الرجوع إلى تحليل الشخصية القيادية للرسول محمد عليه الصلاة والسلام، والسعي لاستخلاص الدروس منها، لتطبيقها في تدريب القادة من أجيال المستقبل. فما مفهوم القيادة؟ وكيف تطوّرت الكفاءات النبوية في القيادة؟

3. مفهوم القيادة:

القيادة هي أساس أي تقدم وتطوّر. ولأهمية القيادة فإنها أصبحت علما يدرس في مختلف الجامعات والمدارس العليا، وتهتم بها تخصصات متعددة، مثل الإدارة والموارد البشرية وعلم النفس التنظيمي وعلم الاجتماع، إضافة إلى العلوم السياسية والعسكرية.

يعرّف مسلم محمد القيادة بأنها: "القدرة والاستعداد لتجنيد الأفراد داخل الجماعة وتوجيههم نحو هدف. كما أنها الاستعداد والقدرة على توجيه رغبات الآخرين حول شخص القائد قصد الوصول بهم إلى فكرة أو تحقيق هدف أو مشروع بحيث يندمج الأفراد بكل قناعة في المشروع وأهدافه"[8].

وقد تطوّر دور القائد مع الزمن. فالقائد في صورته التقليدية المتمثلة في بسطة جسمه وطول قامته وتحكمه في فنون القتال. وهو ذلك القوي المسيطر الذي يتمتع

بالقوّة الجسمية والذهنية، الذي يهابه الآخرون ويخضعون لسيطرته. وقد ارتبط اسم القائد قديما بالجيش، لهذا فإن أسلوب القيادة عادة ما يفهم على أنه تحكم وسيطرة وإملاء للأوامر وتوقع الخضوع من الآخرين. وقد كان قادة الجيوش عادة هم الذين يتحولون إلى المجالات السياسية ويصبحون حكاما وأمراء وملوكا.

لم يعد موضوع القيادة منحصرا في مجالي السياسة والحروب، وإنما توسّع مجال تطبيق القيادة ليشمل مختلف النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية، إلى جانب المجالات السياسية والعسكرية. وقد تطوّر مفهوم القيادة في العصر الحديث وأصبح يختلف اختلافا جذريا عما كان سائدا. إذ أن دور القائد تطوّر من التسلّط والهيمنة إلى التنسيق مع الآخرين وأخذ آرائهم والتفتح على وجهات نظرهم، والقبول بانتقاداتهم وملاحظاتهم.

أما في الإسلام، فيشبّه بوشارب عبد السلام "القائد كالأب الرحيم يرعى أسرته وأبناءه ويكفل لهم سبل الراحة، يهابه الناس ولا يخافونه ويحترمونه ولا يجتنبونه، ويسعون إليه ولا ينفرون منه، فهو قويّ في غير عنف ولين في غير ضعف"[9].

تتمثل أهمية دور القيادة في كونها تحدّد مدى نجاح أو فشل في تحقيق أهداف أي مشروع وأي منظمة. لهذا أعطيت القيادة أهمية كبيرة، ودرست دراسات وافية في علم النفس وعلم الاجتماع وعلوم الإدارة والتصرّف. وقد ظهرت معاهد ومدارس عليا لتدريب القادة والمدراء والساسة والضباط، وذلك لأهمية القيادة ودورها في جرّ عربة التطوّر والتنمية.

وقد ظهرت مسميات حديثة مرتبطة بالقيادة، ومنها المدير والمسؤول والرئيس، وغيرها من المفاهيم المستحدثة. أول شيء يجب لفت الانتباه إليه عند تعريف القيادة هو الاختلاف بين القائد من جهة، والرئيس أو المدير من جهة أخرى. يتحدّد ذلك من خلال مدى قبوله من طرف الجماعة، وطريقة حصوله على المسؤولية على أعضاء الفريق. قد يكون المدير معيّنا من جهات عليا دون أن تتوفر فيه شروط القيادة، وهو بذلك يبقى مديرا أو مسؤولا. أما القائد فهو الذي يتمتع بالسمات القيادية حتى وإن لم تسند له رسميا أي مسؤوليات في المجتمع أو في المؤسسة التي ينشط ضمنها. ومع ذلك يقوم بدوره القيادي في إطار التنظيم غير الرسمي، ويحصل بذلك على قدر من الاحترام ويكون له دور محوري بين من يتعامل معهم. وقد تجتمع صفتي المدير والقائد في شخص واحد، إذا كان مسؤولا معيّنا من جهات عليا، تتوفر فيه شروط القيادة، وهو ما يجب أن يكون[10].

تتم القيادة من خلال سمات وخصائص وراثية للفرد، إلى جانب كفاءات ومهارات يكتسبها من خلال التعلم والتدريب والممارسة والخبرة المكتسبة. وهو ما يؤكده أحمد راتب عرموش، حيث يرى أنه "مما لاشك فيه أن خصائص القيادة الأصيلة صفات فطرية موهوبة تخلق مع الإنسان، ولكن تجارب الحياة ودروسها تصقل هذه المواهب وتثريها"[11].

من هنا نستخلص أن القيادة هي استعدادات وقدرات عقلية ونفسية فطرية، تساهم الخبرة والتجربة والممارسة والتدريب في صقلها وتنميتها وتطويرها.

4. نشأة الرسول عليه السلام وظروف تطوّر كفاءاته القيادية:

لقد مرّ الرسول ﷺ خلال حياته بمراحل صعبة أكسبته خبرة وتجربة، مما أدى إلى نضوج قدراته وكفاءاته القيادية، التي ساعدته على تبليغ الرسالة السماوية ونشر الإسلام باعتباره دينا لكافة خلق الله تعالى.

يمكن تقسيم هذه المراحل التي مرّ بها إلى أربع أساسية: قبل نزول الوحي، ومعاناته مع كفار قريش في مكة المكرّمة قبل الهجرة، وتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وأخيرا الفتوحات الإسلامية بعد فتح مكة وربط علاقات بالدول الأخرى.

1.4 حياة محمد ﷺ قبل نزول الرسالة:

عاش محمد ﷺ في صباه يتيما في كنف جدّه عبد المطلب، حيث توفي والده قبل ولادته، وتوفيت أمه وهو في عامه السادس. وبذلك فقد محمد عليه الصلاة والسلام حنان الوالدين منذ صباه، مما جعله أكثر إحساسا بما يعاني منه المستضعفون والأيتام والمحرومون من أبناء المجتمع. وهو الذي قال فيه سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[12] .

لقد اشتغل عليه الصلاة والسلام بالرعي في صباه، ثم التجارة مع عمّه. وقد استقل بعد ذلك ليصبح تاجرا في مال خديجة بنت خويلد، وكان يقود تجارتها بين مكة والشام ويتصرف بأموالها. فكان أمينا في تعاملاته، وقد تزوجها فيما بعد، لصدقه وإخلاصه.

وقد عُرف محمّد ﷺ منذ صغره بأخلاقه الحميدة وبصدقه وأمانته، حتى اشتهر بالصادق الأمين، مما أكسبه ثقة المجتمع. ومن أشهر القصص عن ثقة قادة قريش بحكمته، قبولهم بتحكيمه في فض النزاع بين سادة قريش حول من يحمل الحجر الأسود عند ترميمهم لبناء الكعبة المكرّمة. وقد ساعدت خبرته وتجربته في سنين حياته الأولى قبل نزول الوحي على صقل شخصيته، مما هيأه لتحمّل المسؤوليات الثقيلة التي تحملها فيما بعد، كرسول اختاره الله تعالى لتبليغ الرسالة وهداية الأمة، وكقائد لإدارة الأمور السياسية والدنيوية التي أدّت إلى تأسيس الدولة.

2.4 نزول الوحي وتحديات مواجهة كفار قريش بمكة:

نزل الوحي على محمّد ﷺ في غار حِراء، وكان ذلك إيذانا ببداية نشر الرسالة الإلهية، وما تمثله من مسؤولية عظيمة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[13]. وقال أيضا: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[14].

وقد بدأ الرسول ﷺ التركيز في مستهل الأمر على محاربة الشرك وتلقين الصحابة أسس العقيدة الإسلامية من إيمان وعبادات. وهكذا بدأ الإسلام ببناء العقيدة، وهي ما ركّزت عليه الآيات المكّية. بينما اتسمت الآيات المدنية بعد الهجرة بالتركيز على المعاملات. وقد التف عدد قليل من الصحابة الأوائل، حول الرسول ﷺ، وعايشوه عن قرب، لما رأوا فيه من صدق وأمانة وإخلاص، وسموّ الأخلاق، وحسن المعاملات، فدخلوا الإسلام. وقد أيده الله تعالى بنصره مما أدى إلى توسّع حلقة المسلمين حوله.

وقد عانى الرسول الأعظم من كيد كفار قريش فحاربوه واستعملوا مختلف الطرق لثنيه عن نشر رسالته السماوية، لتأكّدهم من أن نجاحة يؤدي حتما إلى تزحزح مكانتهم وتهاوي سلطاتهم ونفوذهم بين القبائل. إلا أن محاربة كفار قريش له لم تزده إلا تشبثا بهدفه وصبرا وتجلدا، وهو ما ساعد على صقل شخصية القائد، وزادته خبرة وحنكة في مواجهة الصعاب.

3.4 الرسول القائد في المدينة المنورة:

إن اشتداد حصار كفار قريش على الرسول ﷺ وأتباعه، دفعه إلى الهجرة إلى يثرب "المدينة المنوّرة"، حيث تمّ استقباله من طرف الأنصار الذين كانوا قد بايعوه من قبل على نصرته، فاستقبلوه مع صحابته الذين هجروا معه. فوجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة واقعا مُغايرا عما كان في مكة المكرمة، إذ وجد مجتمعا متنوعا من عقائد مختلفة وقبائل شتي. إذ أصبح المجتمع في المدينة المنورة يتشكل من فئات ثلاث، هم: المسلمون، واليهود، والعرب المشركون، ويتألف المسلمون من المهاجرين الذين تركوا أموالهم وأولادهم و هجروا من مكة هروبا بدينهم من أذى مشركيها، إلى جانب الأنصار الذين عاهدوا الرسول ﷺ على حمايته هو وأصحابه من المشركين. وكان اليهود ينقسمون إلى قبائل بني قريضة وبني قينقاع وبني النضير وغيرهم. وهو ما يمثل نسيجا اجتماعيا متنوعا ومخالفا لما عرفه عن المجتمع المكي شبه المتماسك.

وهكذا فأوّل شيء قام به محمد ﷺ هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهي إشارة قوية لقوته القيادية وحنكته السياسية. كما عمل الرسول ﷺ خلال إقامته بالمدينة على نشر العقيدة الإسلامية، إلى جانب المحبّة والتعاون والتآزر والحفاظ على الحقوق والتآلف بين المهاجرين والأنصار، بين المسلمين واليهود، ونجح في بناء دولة إسلامية على أسس سليمة. كما تمكّن من مواجهة كيد اليهود والمنافقين بأساليب سياسية تبرز عظمة النموذج القيادي المحمّدي. إلا أن أهم إنجاز له تمكنه من تربية مجموعة من الصحابة الذين برزوا كقادة مساعدين له اقتبسوا من نوره وانتهلوا من علمه وخبرته وحكمته، ووقفوا إلى جانبه في مواجهة الأحداث والتحديات، فكان قدوة ونموذجا لتصرفاتهم ومعاملاتهم.

وقد نجح رسول الله ﷺ في تعامله مع مجتمع المدينة بكل أطيافه وتعقيداته، وتمكن من الحفاظ على تماسكه في إطار قيادة الرسول للمجتمع، ووضع أسس الدولة الإسلامية التي أنشأها. وما ساعد على ذلك تحريره للوثيقة التي ساهمت في ضبط العلاقات بين الطوائف، وتحديد حقوقهم وواجباتهم، والتي تعتبر أوّل دستور في العالم.

وهكذا أدّت الصعوبات التي اعترضت الرسول ﷺ في التعامل مع كفار قريش إلى إكسابه خبرة، ساعدت إلى جانب ذكائه وحكمته في التعامل مع المستجدات، وفي نضج خبراته القيادية في مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية الاقتصادية. لم يكن الرسول ﷺ منفردا في تأدية هذه المهام، بل كان يرأس فريقا من الصحابة المخلصين، الذين أصبحوا بدورهم قادة ساهم في تدريبهم عقديا وسياسيا وعسكريا، أمثال أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفّان وعلي بن أبي طالب، وغيرهم كثيرون.

4.4. فتح مكة وترسيخ دعائم الدولة الإسلامية:

لقد كانت عملية فتح مكّة دليلا على نجاح بناء الدولة الإسلامية، وبناء جيش يدافع عنها ويحمي عقيدتها ويصون هيبتها، وما يتطلب ذلك كلّه من قيادات في مختلف المجالات الدعوية والسياسية والاقتصادية والعسكرية. لقد خرج المسلمون الأوائل من مكة هروبا تحت جنح الظلام، أفرادا وجماعات خوفا على أنفسهم وعلى عقيدتهم. وبعد أن غادر محمد ﷺ مكة مهاجرا وكفار قريش يلاحقونه، عاد إليها فاتحا على رأس جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل في السنة الثامنة للهجرة. وذلك بعد أن نقضت قريش صلح الحديبية، وهو دليل على نجاح النموذج المحمدي

في القيادة، ونجاحه في إعداد الرعيل الأول من القيادات التي تحمّلت مسؤولية المرحلة.

وقد توسّعت الفتوحات الإسلامية بعد وفاة الرسول محمد ﷺ في السنة الحادية عشر للهجرة، وتابع الخلفاء بعده إتمام الطريق الذي رسمه. حيث استمرّت الانتصارات والفتوحات لمختلف أصقاع العالم في عهد الخلفاء الراشدين، وخاصة في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب. وقد تمكنا من مواجهة المنافقين والمرتدين، وتمت توسعة رقعة الإسلام، حيث تمّ فتح الشام وفلسطين والعراق ومصر ودخول بلاد الفرس والروم. وبذلك تدعّمت أركان دولة إسلامية قوية شاسعة الأطراف، وقد بدأت من العدم. وكلّها انتصارات وفتوحات تمت في قبل نهاية خلافة عمر بن الخطاب، الذي توفي في الثالثة والعشرين للهجرة.

وقد كانت فترة الخلفاء الراشدين مرحلة ظهرت فيها ممارسات النموذج المحمدي ونجاح تطبيقاته في مختلف المجالات الدعوية الاجتماعية والسياسية والعسكرية.

لم يكن ذلك ليتحقق لولا القيادة المحمدية الرشيدة، التي تمكنت من تطوير الكفاءات القيادية للصحابة، ونجحت في صناعة التميّز عندهم. وقد حصل ذلك انطلاقا من العقيدة الإسلامية التي تشبّع بها الصحابة، ونتيجة امتثالهم لتعاليم القرآن الكريم.

5. الأسس العقدية للقيادة المحمدية:

لقد كان محمّد ﷺ معلّما وقدوة للبشرية جمعاء. حيث اتصف بالصدق والأمانة والإيثار والمحبّة والعمل والإتقان والإخلاص والعدل والمساواة بين الناس. وهو ما أخذه عنه الصحابة رضوان الله عليهم بإتباع سنته، والعمل بجد وتفان في أمور دينهم ودنياهم، مما أدى إلى بناء صرح حضاري عظيم ساهم في تطوّر المسلمين وتقدمهم.

لكلّ قيادة فلسفة ومنطلقات نظرية وفكرية وعقدية وثقافية تنطلق منها وتستند إليها. أمّا القيادة المحمّدية، فمنطلقها الإسلام والقرآن الكريم وما نزل من وحي على الرسول ﷺ. ومن أهم أسس القيادة الإسلامية، قوة العقيدة ووضوح الهدف والتحلي بالأخلاق الفاضلة والرحمة والرفق بالمؤمنين والثقة بالنفس والعدل بين الناس وطاعة أولي الأمر.

1.5 **الإيمان وقوّة العقيدة:** أول ركيزة بني عليها الإسلام هي قوّة العقيدة، وتتمثل في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشرّه. ويترتب عن ذلك الخوف من الله وحده، بحيث يكون أي عمل تعبدي أو دنيوي لإرضاء الله تعالى طمعا في جنته، وليس إرضاء لمخلوق آخر.

فعن أبي ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ قوله: "قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليما، ولسانه صادقا، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وجعل أذنه مستمعة، وعينه ناظرة، وقلبه واعيا"[15].

وبذلك يكون أهم شروط القائد المسلم التحلي بالإيمان والإخلاص في العبادة، والتفاني لرفع كلمة الإسلام بحيث تكون كلمة الله هي العليا.

وقد تفطن علماء الإدارة وقادة الجيوش، في العصور الأخيرة، إلى أهمية العقيدة في تدريب القادة، وضرورة وضوحها لتحفيز أعضاء الجماعة على التفاني في تحقيق الأهداف، وهو ما سبق إليه الإسلام من خلال تدريب المسلمين على الإيمان والتمسك بالعقيدة. قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[16].

2.5 **وضوح الهدف:** ما يميز الإسلام بوضوح الرؤيا ووضوح الهدف وبالتالي وضوح المنهج. **قال الله** تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[17].

وقد كان السلف الصالح يعود إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ للفصل في كل الاختلافات، عملا بقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللهِ والرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ ذَلكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تأويلاً ﴾. [18]

فالإنسان خُلق ليعبد الله ويطبق شريعته، وما يجب على القائد المسلم الالتزام به، وذلك ينطبق على القائد وعلى الجندي والإنسان البسيط، على الغني والفقير، على السيد والعبد. فنفس الشريعة التي لا يمكن التلاعب بها كما هو الحال بالنسبة للقادة الحاليين، حيث يتلاعبون بالقوانين الوضعية، التي يتم تسخيرها لصالحهم وقضاء مآربهم الضيقة.

وبالتالي فإن القيادة في الإسلام عبادة، ذلك أن الحلال بين والحرام بيّن، وأن الأهداف واضحة محدّدة ولا مجال للتلاعب في الأهداف والأساليب، وأن الحكم على مدى سلامة الأحكام يكون بمقارنة مدى تطابقها مع الأحكام الشرعية كما وردت في القرآن الكريم وسنة نبيه الكريم.

3.5 **الأخلاق الفاضلة:** مما اشتهر به الرسول عليه الصلاة والسلام حسن الخلق. قال الرسول ﷺ "إنَّما بُعِثْتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ"[19]. و"عنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ. قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ . فَقُلْتُ: يَا أم الْمُؤْمِنِينَ اخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. قَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[20]." [21] وعن عائشةَ رضيَ اللَّه عنها، عن رسولَ اللَّه ﷺ قوله: "إنَّ الْمؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسنِ خُلُقِه درَجةَ الصائمِ القَائمِ"[22].

وهكذا اهتم الإسلام بالأخلاق الكريمة من احترام الناس ومساعدة الضعيف واحترام الجار وتجنب كلّ ما يؤذي الغير وتجنب الفواحش والرذائل، وهي سمات يتميز بها منهج القيادة المحمدية. وقد كسب المسلمون الدعاة قلوب وعقول الناس بأخلاقهم الحميدة وممارساتهم النبيلة، مما أدى إلى إسلام حواضر وأمصار برمتها.

4.5 الرحمة والرفق بالرعية: أوصى الله سبحانه وتعالى رسوله بالرحمة. قال تعالى: ﴿ فبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[23]. كما قال أيضا: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا... ﴾[24].

وقد اشتهر الرسول عليه السلام بالرحمة في تعاونه مع المسلمين، بل العفو حتى عن الذين آذوه من الكفار، وهو ما فعله عند فتح مكة، إذ قال لكفار قريش والذين تأخر إسلامهم:"ما تظنون أنى فاعل بكم؟ "قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء، لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لي ولكم[25]."

وهو ما ترك أثره الحسن في نفوس ودخل المتردّدون إلى الإسلام عن طواعية، لما لاقوه من معاملة الرسول ﷺ لهم مقابل ما عاملوه به قبل الهجرة.

5.5. الثقة بالنفس: إن حمل محمد عليه السلام للرسالة الإلهية وشعوره بوقوف الله سبحانه وتعالى إلى جانبه، جعله أكثر ثقة بنفسه. وهي صفة يجب توفرها في القائد المسلم. إذ لا يمكن أن نغرس الثقة في نفوس الآخرين في وقت نفتقد إلى الثقة بأنفسنا. نفس الشيء بالنسبة للمؤمنين المخلصين الذين يطيعون الله سرا وعلانية، فلا بدّ أن تكون لهم ثقة بأنفسهم وبنصرة الله تعالى لهم، وهي من أهم الخصائص القيادية التي يتميز بها المسلمون عموما.

6.5 **العدل بين الناس**: إن الله تعالى عدل يحبّ العدل بين عباده، وهو القائل: ﴿... وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ...﴾[26]. وقال أيضا: ﴿ ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[27]. وقال صلى الله عليه وسلم: "إن أرفع الناس يوم القيامة إمام عادل"[28].

ومن الأمثلة المشرقة عن عدل الإسلام، رغبة قريش التدخل عند الرسول ﷺ لصالح المرأة المخزومية التي سرقت، فقال صلى الله عليه سلم في خطبة له: "أما بعد فإنما هلك الناس قبلكم بأنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ. والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[29].

7.5 طاعة أولياء الأمر: لقد قرن الإسلام بين طاعة الله وطاعة رسوله، وذلك في عدة آيات. وقد ربط الله تعالى أيضا بين طاعة الله ورسوله وولي الأمر، لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[30].

وهكذا يتضح لنا أن للقائد مكانة خاصة في الإسلام، طاعته واجبة، شرط التزامه بالإسلام ومتطلباته والعمل بقواعده والعدل بين الناس والسعي إلى تحقيق غايات الإسلام.

وعليه يتضح لنا ارتباط مبادئ الإسلام بمتطلبات القيادة، مما يؤدي إلى انسجام وتكامل وتعاون بين القادة وباقي الرعية. وهو ما يساهم دون شك في نجاح القادة في تأدية مهامهم، في إطار المجتمعات الإسلامية لوحدة العقيدة والأهداف والممارسات. وهو ما يترتب عنه قبول الرعية بحكم قادتها والاطمئنان والخضوع لهم، وذلك في حدود ما تقرّه الشريعة الإسلامية.

6. الكفاءات القيادية لمحمد ﷺ:

لقد تطرّقت الدراسات الحديثة في الإدارة وعلم النفس التنظيمي، إلى الكفاءات القيادية والسمات الشخصية التي يجب أن تتوفر في القائد عموما، وقد لخص "عبد الغفار حنفي"[31]، أهمها في السمات التالية:

1. القدرة على تحفيز وتشجيع الأفراد.
2. القدرة على الاتصال.
3. القدرة على الإقناع .
4. غرس الثقة في الآخرين.
5. تفويض السلطة والثقة في المرؤوسين .
6. القدرة على اتخاذ القرارات.

وهي سمات شخصية وكفاءات نحاول ربطها بما كان يتحلى به الرسول ﷺ من سمات شخصية وكفاءات قيادية:

1.6 القدرة على الاتصال:

لموضوع الاتصال أهمية كبيرة في عملية الدعوة وقيادة الأمة قال الله تعالى إخبارا عن موسى عليه السلام أنه قال: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[32]. ولتأكيد أهمية الفصاحة والقدرة على الاتصال طلب موسى عليه السلام من الله سبحانه وتعالى أن يشد أزره ويعضده بأخيه هارون، الذي هو أفصح منه لساناً، قال تعالى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾[33].

وهكذا فإن أهم كفاءة يؤكد الباحثون المحدثون ضرورة توفرها في القائد، هي قدرته على الاتصال، وقدرته على إيصال الرسالة التي يريد إيصالها شفويا إلى الآخرين. كما يشمل ذلك سلامة حاسة السمع والقدرة

على فهم الرسائل، وهو ما نجده عند محمّد ﷺ، الذي كان يتمتع بقدرة على الاتصال وكفاءة التواصل. فقد بلّغ الرسالة وكان إماما وخطيبا ومدرسا، وهو ما يصعب تحقيقه دون التمكن من مهارة الاتصال.

2.6 القدرة على الإقناع:

يتصف الرسول الداعية والقائد بقدرته على الإقناع. وقد بدأ الرسول عليه السلام وحيدا بعد تسلّمه رسالة التوحيد، وتمكن من الشرح والإقناع إلى درجة جعلت كفار قريش يقتنعون برسالته. وقد كانوا يتجنبون الاستماع إليه لخوفهم من تأثير ذلك على عقيدتهم حفاظا على كفرهم وتمسكا بعبادة آلهتهم.

وقد كانت القدرة الإقناعية للرسول ﷺ سببا في الإقبال على الإسلام، حيث ترك وراءه بعد وفاته أمة تؤمن بالله وتسعى لإرضائه.

3.6 ممارسة الشورى: من أهم المفاهيم التي يتم التركيز عليها في العصر الحديث، موضوع الديمقراطية وإسهام الغير في صناعة القرارات. وقد سبق الإسلام دعوات العلماء المحدثين بتشريعه موضوع الشورى. قال الله تعالى: ﴿وأمركم شورى بينكم﴾[34]. وقال أيضا: ﴿...وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين﴾[35].

وقد كان الرسول ﷺ يتشاور مع أصحابه ويستمع لهم. والأمثلة عن ذلك عديدة، ومنها ما حدث في بدر، إذ نزل عند أقرب ماء من بدر. فتقدم منه "الحباب بن منذر" وسأله: يارسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال الرسول: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة". فأشار "الحباب" على الرسول بتغيير الموقع ولما اقتنع قال: "لقد أشرت بالرأي". ونهض الرسول عليه السلام ومن كان معه ونفذوا خطّة الحباب.[36] وفي غزوة الأحزاب، عمل الرسول ﷺ بفكرة الصحابي سلمان الفارسي وقام المسلمون بحفر الخندق للدفاع عن المدينة.

وهو المنهج القيادي الذي اهتدى له الباحثون والساسة والقادة الغربيون في العصور المتأخرة، والمتمثل في "الديمقراطية"، ويعتبرونها منهجا جديدا في الحكم. في حين، نجد منهج الشورى قد طبق منذ خمسة عشر قرنا منذ نزول الرسالة الربانية.

4.6 غرس الثقة في نفوس الآخرين: حتى ينجح القائد في جمع أتباعه، لا بد له من قدرة على غرس الثقة في نفوسهم. إذ أن الجنود لا يقبلون دخول معركة فاشلة، وبمعنويات منحطة، وهو ما يتطلب من القائد رفع معنويات جنوده وإقناعهم بالنصر المحقق، وهو ما كان الرسول عليه السلام يقوم به، مما أدى إلى قيادته لفئات صغيرة من الصحابة ضد فئات كبيرة من المشركين وكان النصر حليفهم، كما حدث في غزوة بدر. ذلك أن كفاءاته وقدرته على الإقناع وغرس الثقة في أتباعه هي أحد أهم نجاحه كرسول وكقائد لهذه الأمة.

5.6 القدرة على التعبئة والتحفيز:

من صفات القائد الناجح القدرة على تحفيز فريق عمله وأتباعه أو جنوده ورفع روحهم المعنوية وتعبئتهم لإنجاز العمل والإقبال على للمعارك. وهو ما تمكّن الرسول ﷺ إنجازه بكل فعالية. وقد تمكن من ذلك حتى في أحلك الظروف التي مرّ بها. وهكذا حافظ على التفاف أصحابه حوله في مكة قبل الهجرة، فلم ينفضّ عنه أتباعه بل تزايدت أعداؤهم رغم الحصار والمعاناة التي كانوا يعانون منها. كما أنه واجه الظروف الصعبة بعد غزوة أحد، وتمكن من تعبئة المقاتلين في غزوة الأحزاب، وصدّوا كفار قريش وحلفاءهم الذين أرادوا دخول مكة والقضاء على محمّد وأتباعه ﷺ.

وبعد غزوة الأحزاب، قام الرسول ﷺ باستنهاض همم المسلمين من خلال قوله "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"[37]. وفعلا بدأت الاستعدادات في تلك اللحظة وحملوا السلاح للتوجه إلى بنو قريظة وتأديبهم لما أخلفوا من عهود.

وقد تعلّم الصحابة استنهاض الهمم وتعبئة الجيوش، "قال سعيد بن المسيب عن أبيه قال: هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتا يكاد يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين، قال: فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد"[38].

وقد ساهمت قدرة الرسول ﷺ في تعبئة الصحابة ورفع معنوياتهم وتحفيزهم أثر إيجابي على نجاحاتهم وانتصاراتهم.

6.6. القدرة على اتخاذ القرارات: يتطلب من القائد اتخاذ مجموعة من القرارات الخطيرة، لذا فأول شرط يجب أن يتوفر في القائد هو ثقته بنفسه، وبالتالي قدرته على اتخاذ القرارات مهما كانت خطورتها، ومنها إعلان الحرب والسلم عند الضرورة. ومن الأمثلة عن ذلك اتخاذ رسول الله ﷺ لقرار صلح الحديبية رغم عدم رضا بعض الصحابة، لتأكده مما سيعود عليه الصلح من فوائد على الإسلام والمسلمين، وهو ما حدث فعلا.

من هنا يتضح لنا أن محمدا عليه السلام، كان كله ثقة بنفسه وبسلامة منهجه في الدعوة والتعامل مع الأحداث الاجتماعية والسياسية والعسكرية. وكانت له القدرة على مواجهة الأحداث واتخاذ القرارات المناسبة، وخاصة عند الأزمات والظروف الحالكة.

7.6 **الحفاظ على تماسك الجماعة:** إن القائد الكفء هو الذي يراعي أفراد الجماعة التي يشتغل معها وقدرات وإيجابيات وسلبيات كلّ عضو منها، والعمل من أجل تكامل وتماسك الجماعة. وهي القضايا التي كان الرسول ﷺ يناقشها مع صحابته عند اختيار القادة والرّسل المبعوثين إلى مختلف المماليك لدعوتها للإسلام. يرى المصري محمد أمين أن "الروح المعنوية ووضوح الأهداف ومشاركة الأعضاء في وضع الخطط لتحقيق الأهداف، وفي رسم قواعد سلوك الجماعة ومثلها، ودور القيادة... كلّ هذه العوامل تؤثر في تماسك الجماعة ووحدتها"[39].

وهكذا فإن الكفاءات التي كان الرسول عليه السلام يتمتع بها، هي التي جعلت أصحابه يلتفون حوله حتى في أحلك الظروف، وجعلت كفار قريش يتحولون عن أصنامهم إلى عبادة الواحد الأحد، والانضمام إلى أمة الإسلام والجهاد في سبيل نشره.

7. المنهج المحمّدي في تطوير الكفاءات القيّادية

يعود الفضل في انتصار الإسلام في مختلف المجالات الدعوية والعسكرية والسياسية إلى شخصية الرسول ﷺ ، وما تميز به من قوّة إيمان وعزيمة وصبر على الشدائد. وما ساعد على ذلك أيضا معرفته بالرجال وقدرته على تدريبهم وتطوير قدراتهم القيادية. ذلك أن القدرة على تدريب الأتباع ومدّهم بالكفاءات التي يحتاجونها، هي من شروط القائد الناجح[40]. وذلك ما كان الرسول ﷺ يتميّز به، إذ كان معلّما وقدوة وموجها وناصحا وناهيا ومدربا لأصحابه.

وهكذا فأول عمل قام به الرسول ﷺ هو إصلاح عقيدة أتباعه، وقد اعتمد أساليب علمية لبناء شخصية الإنسان المسلم، حيث جاء على لسان بعض الصحابة: (كان رسول الله ﷺ يفرغنا ثم يملؤنا)، أي كان عليه السلام يفرغ أصحابه من الصفات السيئة ويملؤهم بالصفات الحسنة. وقد استعمل في ذلك وسائل وهياكل

وأساليب متعدّدة، تتمثل في البناء على تعاليم القرآن الكريم ومؤسسة المسجد والقدوة واختيار الرجال وإبداء النصائح والإرشاد.

1.7 البناء على تعاليم القرآن الكريم:

لقد كان القرآن الكريم الجامع الموحد للمسلمين. قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ... ﴾[41]، وقال أيضا: ﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ** وليتذكر أولو الألباب ﴾[42]. **وقوله سبحانه وتعالى:** ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[43].

وقد كان الصحابة الأوائل يتلقفون السور والآيات القرآنية التي كانت تنزل على الرسول ﷺ لحفظها وتدبرها والعمل بها. وبهذا ساهم القرآن الكريم في تشكيل شخصية المسلمين وعلى الأخص منهم الصحابة والقادة، الذين كانوا يحضرون بانتظام جلسات الرسول عليه السلام بالمسجد، والذين صاحبوه في غزواته. ذلك أن القرآن الكريم هو الأساس العقدي للمسلمين الذين يحترمون أحكامه في السلم والحرب وفي كلّ الظروف وكلّ الفئات الاجتماعية، غنيّها وفقيرها، سادتها وعبيدها، وهو ما يميز سلوك المسلم القائد.

2.7 استغلال مؤسسة المسجد لتدريب القادة:

يعتبر المسجد هو أهمّ مؤسسة استعملت – ولازالت تستعمل – في تعليم المسلمين وتوعيتهم وتدريبهم على الكفاءات القيادية، حيث يتعلم المسلمون مبادئ القراءة والكتابة في الكتّاب الذي عادة ما يكون تابعا للمسجد، ثم يستمرون في حفظ القرآن الكريم والتعرّف على سنة نبيه الكريم. فهم يتعلمون العقيدة الإسلامية ويمارسون الشعائر الدينية.

ومن خلال المسجد، كان الرّسول ﷺ يلاحظ مدى التزام وانضباط المؤمنين، ومدى تنفيذهم لتوجيهات عليه السلام، ومدى تفانيهم في العمل الخيري، واستجاباتهم للمساهمة في الغزوات بجيوش المسلمين، وهو ما يساهم في بروز القادة. وبالتالي كان الاعتماد كبيرا على مؤسسة المسجد في تدريب القادة ومدّهم بقدر وافر من المعرفة الدينية والدنيوية. وقد ساهم كثير من هؤلاء القادة في نشر الإسلام وتوسيع رقعته، وإدارة الولايات الإسلامية.

3.7 القدوة الحسنة:

إلى جانب ما تقدمه مؤسسة المسجد من توعية وتدريب، فإن ممارساته القيادية ﷺ في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، كان لها وقع كبير في تدريب الصحابة وخاصة الشباب منهم على المهارات والممارسات القيادية.

وقد حث الله تعالى المؤمنين على اتخاذ الرسول ﷺ قدوة في أقوالهم وأفعالهم، لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[44] ، وقال الإمام ابن كثير في تفسيره: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في تأسيب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله"[45].

وكان عليه الصلاة والسلام إذا أراد من أصحابه فعل شيء، يقوم بفعله مما يدفعهم إلى الاقتداء به. فعند صلح الحديبية، لم تكن بنود الصلح لترض بعض الصحابة لما رأوا فيها من إجحاف في حق المسلمين. لكن الرسول ﷺ مضى قدما في إتمام اتفاقية الصلح، لأنه يعلم من الله ما لا يعلمه أصحابه. ولما رأى صحابته قد تلكؤوا في التحلّل من إحرامهم، قام فبدأ بنفسه فنحر هديه وحلق رأسه، فلما رآه المسلمون قاموا

يفعلون كما فعل. وهكذا كان رسول الله ﷺ قدوة في أقواله وأفعاله، وهي سنّة يُهتدى بها.

4.7 معرفة الرجال واختيار القادة:

كان الرسول ﷺ يعرف أهمية القيادة وما تتطلبه من خصائص نفسية وعقلية وبدنية. قال صلى الله عليه وسلم "إنما الناس كالإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة"[46]، والراحلة هي الناقة القوية السريعة في السير، ونفس الشيء ينطبق على القادة الأكفاء المتميزين فهم قليلون ويجب التعرف عليهم والعناية بهم. وقد كانت للرسول ﷺ دراية بالرجال وكان يتفنن في اختيار قادة الجيوش والولاة والمفاوضين والمبعوثين إلى الملوك والقادة العرب والأعاجم.

ولتأكيد معرفة محمد بن عبد الله ﷺ بطبيعة ونوعية الرجال، قوله: " النَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا"[47]. وهو ما جعل حكام وشرفاء قريش يحافظون على مكانتهم كقادة بعد دخولهم الإسلام، وقد كانوا دعما وعونا للمسلمين، كما كان الحال بالنسبة لعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد، وغيرهم كثيرون.

لهذا قرّب عليه السلام قادة قريش بعد إسلامهم، رغم ما عانى منهم قبل إسلامهم. وهكذا بقي خالد بن الوليد، الذي كان السبب في انهزام المسلمين في غزوة أحد، قائدا على جيوش المسلمين وأصبح يُعرف بعد إسلامه ب "سيف الله المسلول"، لكن على الكافرين هذه المرّة.

كما أن معرفة رسول الله ﷺ للرجال، هي التي أدّت إلى رفضه تولية أبي ذر الغفاري على أحد الولايات عندما طلبها. فعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ, قُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ, أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ -تضعني بوظيفة أو بعمل- قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي -هذا معنى ربت، شيء في منتهى المودة والمحبة- ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ, وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا"[48].

فرغم إيمان أبي ذر الغفاري وورعه وصحبته للرسول ﷺ، إلا أن للقيادة شروط رأى النبي محمّد عليه الصلاة والسلام عدم توفرها في أبي ذرّ. وهكذا كان منهج الرسول ﷺ دقيقا في اختيار القادة المسلمين، وهو بذلك يضمن نجاحهم في تأدية مهامهم بطرق متميزة خالية من الأخطاء.

5.7 المتابعة وإبداء النصح والإرشاد:

لم يترك الرسول أصحابه مستقلين في تصرفاته، بل كان يتابع كل أعمالهم المرتبطة بمسؤولياتهم الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وهو لا يتردّد في تقديم الملاحظات والنصائح من أجل تقويم سلوكاتهم وممارساتهم. وكان الصحابة رضوان الله عليهم سريعو الفهم والانضباط، ويعملون بالنصيحة ويتسابقون في الخيرات وفي إرضاء الرسول عليهم السلام. فعن أبي رقية تميم بن أوس الداريّ – رضي الله عنه – "أن النبي ﷺ قال: الدّين النصيحة. قلنا لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم"[49].

وبذلك كانت متابعة الرسول ﷺ لأعمال صحابته وتصرفاتهم، وما تضمن ذلك من نصائح وإرشادات، منهجا ثمينا ساهم في تدريب القادة المسلمين، حتى تميزوا في ممارساتهم القيادية.

6.7 تفويض السلطات والثقة في المرؤوسين:

من الجوانب التي تفطنت لها النظريات الحديثة في السلوك التنظيمي عدم هيمنة القائد على كل السلطات والصلاحيات بل إشراك أعضاء فريق القيادة في تحمل المسؤوليات، وإشراكهم في اتخاذ القرارات. وقد كان الرسول ﷺ يخرج في غزوات ويترك بعض الصحابة

أمناء على المدينة. كما أن الرسول ﷺ كان يفوض بعض سلطاته لقادة الجيوش والولاة حتى يتخذوا القرارات المناسبة في الظروف المناسبة. ولا يتم ذلك لولا الثقة في الصحابة والقادة وفي قدراتهم وكفاءاتهم.

ففي حوار لرسول ﷺ مع معاذ حين بعثه إلى اليمن، سأله: "كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ "، قال أقضي بكتاب الله، قال: "فإن لم تجد في كتاب الله؟ " قال: فبسُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " فإن لم تجد في سُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ولا في كتاب الله؟ "، قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال: " الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله "[50].

وهكذا ساهمت خبرة محمّد ﷺ وكفاءاته القيادية وخبرته بالرجال في تدريب فريق من القادة والمستشارين، ومتابعتهم واستشارتهم في مختلف القضايا، حتى برزوا كقادة قام بتفويض مختلف السلطات لهم، وساهموا في نشر الإسلام وتوسيع رقعته وبناء الدولة الإسلامية والحضارة الإنسانية.

8. من جودة القيادة إلى التميّز والإبداع:

التميز في إنجاز عمل، معناه إنجازه بجودة عالية من كلّ جوانبه، بحيث يكون خاليا من أي أخطاء مهما كانت بسيطة، وهو ما يشار إليه ب "صفر خطأ"، ويكون أداؤه متسما بالإبداع. وبهذا فإن التميّز في الأداء القيادي ينتج من خلال شخصية متميزة تجمع حولها أفراد متميزين لتشكيل فريق منسجم ومتكامل، ومن أفراد متحمسين ومقتنعين بالهدف المشترك الذي يجمعهم. حيث يكون القائد محور الجماعة ومحركها لتحقيق الأهداف في أدنى وقت وبأقل جهد وبأقل التكاليف وبجودة عالية متميزة، متسمة بالإبداع والابتكار وتكون خالية من الأخطاء.

يرى رضا أكرم أن "الابتكار هو العملية التي تتضمن الإحساس بالمشكلات والثغرات في مجال ما، ثم تحديد بعض الأفكار ووضع الفروض التي تعالج هذه المشكلات، واختبار مدى صحة أو خطأ هذه الفروض، وتوصيل النتائج إلى الآخرين"[51] وتطبيقها على أرض الواقع، لما فيها من مصالح، وما تعود به من فوائد على المجتمع.

ولتحقيق التميّز في القيادة، يرى الشريف طلال عبد الملك ضرورة توفر شروط في القيادة، بحيث تكون "المحرك الأساسي وذات دور رئيسي في ممارسة التأثير على الموظفين للتعاون فيما بينهم من أجل تحقيق الأهداف المشتركة للوصول إلى التميز، فهناك أمور لتميز القيادة، منها ما هو خاص بسمات الشخصية القيادية، ومنها ما يجب التدريب عليه. فبدون مشاركة فعالة واهتمام عملي من القيادة تعتبر إدارة التميز صعبة، بل وحتى مستحيلة. فمهمات القائد الحريص على التميز تتركز في تحديد رؤية المنظمة المستقبلية ونشر ثقافة التطوير والإبداع"[52].

وقد وضع الرسول ﷺ أسس ودعائم القيادة الإسلامية، التي يجب تدعيمها بمتغيرات العصر ومفاهيمه، ومنها الإبداع والتميز من أجل إحداث ثورة ضد التخلف الذي تعرفه الشعوب العربية في هذا العصر.

إن كانت القيادة ظاهرة عامة وممكنة، نشاهدها يوميا في كل المجالات، ولها أمثلة في كلّ العصور، إلا أن القيادة المتميزة قليلة بل نادرة إن وُجدت، ومن بين ما عرفته الإنسانية قيادة الرسول محمد ﷺ في نشر الرسالة وتأسيس الدولة وتثبيت ركائز الأمة. ولولا تميز القيادة

المحمدية لما انتصرت على أعدائها قديما وحديثا، ولما استمر الإسلام إلى اليوم رغم كيد الأعداء وتفانيهم للقضاء عليه. فالرسالة المحمدية باقية لصلابتها رغم كيد أعدائها، إلى أن يرث الله الأرض ما عليها، لقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[53].

ذلك أنه من مؤشرات نجاح النموذج القيادي، البقاء والاستمرارية، والتفاعل مع الواقع والمواجهة ومسايرة التغيرات، وهو ما نلاحظه في الإسلام، رغم ما أصاب المسلمين من وهن في العصور المتأخرة.

9. البيئة المحمدية واستعداد الصحابة للتعلّم:

إن الظروف التي كانت سائدة في عهد الرسول ﷺ جعلت الصحابة يقبلون على التعلم. إذ كانوا يتسابقون للاستماع للقرآن الكريم والصلاة وراء الرسول ﷺ وحضور دروسه وجلساته بالمسجد النبوي، وكانوا يعملون على الأخذ بسنته وتطبيقها.

وهكذا أقبل المسلمون الأوائل على التعلّم وتبني حضارة جديدة بقيمها وثقافتها ومتطلباتها القيمية والسلوكية. وهو ما جعل الجوّ مناسبا للتعلم والتحصيل وتغيير السلوك والممارسات والتكيف مع الواقع الجديد.

وقد تعلّم المسلمون الأوائل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كما تعلموا الكفاءات الاجتماعية والسياسية والعسكرية. وقد كان التعلّم يتمّ عن طريق التشبث بالإسلام، وما يمثله من أوامر ونواهي وأساليب المعاملات، وتبني شبكة من القيم الإسلامية الجديدة كما أخذوها من الرسول ﷺ.

وهكذا يحتاج القائد الاجتماعي إلى خبرة التواصل والتعامل مع الآخرين، و يحتاج القائد العسكري إلى إتقان فنون المبارزة والقتال، ويحتاج القادة السياسيون إلى الحكمة والقدرة على المفاوضات وتوقع وفهم خفايا الأحداث الدولية وتوقع مجرياتها.

لقد تعلّم الصحابة والقادة المسلمون الأوائل الكفاءات السياسية من خلال مناقشة قضايا المسلمين في المسجد، ومن خلال ممارسة الشورى بين المسلمين في حضور الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو ما سمح للصحابة بتعلم الكفاءات السياسية.

أما القيادة العسكرية فكانت من خلال الجهاد الفعلي ومصاحبة الجنود المسلمين والمشاركة في غزوات الرسول ﷺ، مما أدى إلى بروز عدد كبير من القادة العسكريين.

لقد اجتمعت في عهد الرسول ﷺ شروط ثلاثة ضرورية لتعلّم الكفاءات، وهي:

- توفّر الرغبة الذاتية للتعلّم عند الصحابة.
- إيجاد الظروف البيئية المناسبة للتعلّم.
- توفّر القائد المعلّم، والمتمثل في شخص الرسول ﷺ.

وهكذا، إضافة إلى ما كان للصحابة رضوان الله عليهم من قدرات عقلية وإبداعية وخصائص نفسية ضرورية لنجاحه، فقد كانوا يتحكمون في مجموعة من المهارات والكفاءات التي تعلموها عن الرسول ﷺ وتحكموا في أدائها. إلى جانب ذلك نجد الخبرة التي اكتسبوها من محيط صحراوي صعب خشن، وتحكمهم في مختلف المهارات الاجتماعية والتقنيات العسكرية التي تعلموها من مجتمع محارب، مما أهّلهم ليصبوا قادة.

وهكذا تعدّدت قدرات وكفاءات الصحابة حسب اهتماماتهم وميولهم والفطرة التي جبلهم الله عليها.

لقد كانت الأجيال السابقة تعتمد على الخبرة الشخصية والتجربة الذاتية والتنشئة الاجتماعية لتعلّم الكفاءات القيادية، إلا أن تعقد المهام والأداءات

القيادية في عصرنا، أدى إلى ظهور مدارس ومعاهد لتدريب القادة ومدّهم بالمهارات اللازمة لهم. كما وضعت لذلك مناهج علمية مناسبة، واعتمدت أساليب التدريب النظري والتطبيقي، ورصدت موازين مالية معتبرة، لتحقيق أهدافها في تخريج قادة أكفاء، في مستوى تحدّيات المرحلة.

وهكذا كانت للعرب دوافع واستعداد للتعلّم والاندماج في واقعهم الجديد بعد ظهور الرسالة، وتكيفوا مع شروط ومتطلبات ممارسة الحضارة الجديدة التي أتى بها الإسلام.

10. المنهج المحمدي في صناعة التميز:

لم يتوقف المنهج المحمدي في تطوير الكفاءات القيادية عند الصحابة، وإنما تعدّاها إلى صناعة التميّز وتنمية قدراتهم الإبداعية. فعدا القضايا الفقهية والتعبدية، فإن الرسول ﷺ كان ينمي عند الصحابة حرية المشاركة بالآراء من خلال جلسات الشورى. وكان الرسول ﷺ يأخذ بآراء صحابته إذا ارتأى أنها كانت صائبة في القضايا الدنيوة، وهو ما أكسبهم حرية وقدرة على التفكير. وقد استمر الخلفاء الراشدين في رفع راية الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، وأظهروا تميزا في ذلك، نتيجة ما لقوه من تدريب وتطوير لكفاءاتهم القيادية من طرف الرسول ﷺ، ولتمسكهم بسنته صلى الله عليه وسلم.

يتميز المنهج المحمدي بمجموعة من الخصائص المتمثلة في اعتبار تحمل المسؤولية عبادة، والجد في العمل والإخلاص في العمل وإتقانه والإيجابية والأخذ بالأسباب، وهي دعائم تؤدي إلى الجودة والتميّز.

1.10 اعتبار تحمّل المسؤولية عبادة:

إن المسؤولية في الإسلام تكليف لا تشريف. وهكذا فكلّ راع هو مسؤول: قال رسول الله ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والولد راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[54].

وقال عليه الصلاة والسلام أيضا: "إذا ضُيعت الأمانة فانتظروا الساعة". قيل: وكيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: "أن يوسد الأمر لغير أهله". وفي حديث آخر: "مَن استعمل رجلاً على عصابة من المسلمين وفيهم مَن هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين"[55].

وهكذا تولي المسلم لأي مهمة هي مسؤولية وأمانة في عنقه. لذلك على كلّ قائد مسلم صون الأمانة وتأديتها على خير وجه.

2.10 الاجتهاد في العمل: يتميز المسلم المؤمن بالاجتهاد في العمل، أثناء تأديته لمهامه التجارة أو في المهام العسكرية أو المهنية، وهو ما يؤدي إلى جودة العمل والتميز فيه. وقد تطوّ المسلمون بعملهم واجتهادهم وتفانيهم في العمل، ولما تهاونوا عن تأدية واجباتهم تخلفوا وأصبحوا محل أطماع أعدائهم.

3.10 الإخلاص في العمل وإتقانه:

اهتم الإسلام بالصدق والإخلاص في المعاملات. إذ قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم...﴾[56]. وقال عليه الصلاة والسلام: "من غشنا فليس منا"[57]. وقال أيضا "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة"[58]. إلى غيرها من الآيات والأحاديث التي تحث المسلمين على إيقاف

العمل والإخلاص فيه وحسن المعاملات في مجالات التجارة والصناعة والمعاملات اليومية.

إلى جانب الصدق والإخلاص والأمانة، نجد أن سلوك المسلم وفق النموذج المحمدي يتسم بالإتقان في العامل، قال رسول الله ﷺ: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه "[59]. وقد تقدّمت الشعوب الغربية لجدية أبنائها في العمل وإتقانه، وتخلف المسلمون لما تهاونوا عن ذلك.

4.10 الإيجابية والأخذ بالأسباب: لقد أمر الإسلام بالتفاعل الايجابي مع الأحداث والسعي من أجل التغيير ومقاومة المنكر والأخذ بالأسباب لتحقيق الأهداف. وذلك عملا بقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ **[60]**. وقوله أيضا: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه ﴾[61].

وقد كان الرسول ﷺ ينهى عن التهاون والاقتصار على التوكّل في قضاء الحاجات. "عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ قَالَ:" اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ" **[62]**. وهو ما يوضح ضرورة أخذ المسلم بالأسباب، والسعي إلى النصر.

وهكذا انتصر الإسلام من خلال تحويل أتباعه إلى أفراد إيجابيين وفعالين، تمكنوا من تغيير ما بأحوالهم والتأثير إيجابيا على واقعهم[63].

5.10 احترام الوقت:

إن المسلم مسؤول عن وقته فيما يمضيه لهذا فهو يحافظ عليه ويشغله في العبادة وفيما ينفعه وينفع غيره (الناس). وقد اهتم الإسلام بالوقت ووضع أوقاتا محدّدة لإقامة الصلوات، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ **[64]**. وهو ما يوضح أهمية الوقت في العبادات والمعاملات.

وهو ما يؤدي دون شك إلى تميز القائد والفرد المسلم نتيجة تصرفاته وما تتصف به من خصائص إيجابية. وهي ما يطلق عليها حاليا بالجودة في مختلف المجالات الاجتماعية والمهنية.

وهكذا عرف الإسلام توسعا كبيرا في مدّة زمنية وجيزة، وذلك راجع إلى العناية الإلهية برسوله ﷺ، ولدينه الجديد بالدرجة الأولى. كما يعود ذلك إلى شخصية الرسول محمد ﷺ، وذكائه وفطنته ومهاراته القيادية. يعود الفضل أيضا للصحابة رضوان الله عليهم من جنود وقادة استلهموا الدروس القيادية من قائد الأمة واجتهدوا في الاقتداء به. وهو ما أدى إلى بروز قادة سياسيين وعسكريين كبار بارزين ومتميزين.

11. نحو مقاربة إسلامية في تطوير الكفاءات القيادية وصناعة التميّز:

عرفت الأمة الإسلامية تأخرا كبيرا في القرون الأخيرة، بسبب الابتعاد عن الإسلام، وما يمثله من ممارسات إيجابية. كما أن قادة الدول العربية والإسلامية هجروا ممارسة شروط القيادة المحمدية السليمة، مما أدى إلى انتشار الجهل والتخلف والفساد بجل المجتمعات الإسلامية في عصورنا الحالية.

لقد ذهب المسلمون الأوائل، وما كانوا يمثلونه من صفات الإيمان والعدل والقوّة، وعلى رأسهم قائد هذه الأمة محمد بن عبد الله ﷺ. ورغم هذا الغياب الذي ترك فراغا كبيرا، إلا أن "الإسلام موجود ينتظر القيادة الصالحة الواعية، القادرة على استيعاب الماضي والعيش في الحاضر. لهذا فإن دراسة الجانب القيادي في شخصية محمد ﷺ تلقي ضوءا على أهم سبل بعث المسلمين من جديد"[65].

فرغم بُعد الفترة التي تفصلنا عن عهد النبوّة والخلفاء الراشدين، إلا أن الروح الإسلامية لا زالت باقية والبذرة

لا زالت حية. يرى المصري محمد أمين: "أنه مازال في المسلمين بذور هذه المعاني – القواعد الإسلامية – كامنة ولن تزال ولن ينقطع أثرها بحال، وما يزال في المسلمين طاقات كامنة دفينة على رغم كل ما أصابهم، وأن ومضة من ومضات الخير والرشد وانتباهة واحدة، لكفيلتان بعودة الأمة إلى مكانتها"[66].

وهو ما يتطلب من الفقهاء والعلماء والباحثين المسلمين تثمين ثرواتهم المعرفية في العلوم الاجتماعية والإدارية انطلاقا من السنة النبوية الشريفة، وما تزخر به من تجربة ثرية، كانت سببا في انتصار المسلمين الأوائل ورفع شأنهم، وهي تجربة يمكن إعادة تكرارها في حال توفر القيادة الإسلامية الرشيدة، التي تطبق السنة النبوية الشريفة.

إن تحديد أسس القيادة المحمدية متشابك يحتاج إلى تدخل مجموعة من الاختصاصات والمجالات العلمية، ومنها علم الحديث وعلم النفس التنظيمي وعلم الإدارة والعلوم العسكرية، من أجل دراسة وتحليل وتحديد معالم المنهج المحمدي في القيادة، ووضع خطط تكييف هذا المعالم بمفاهيم حديثة وبلغة العصر لتطبيقها في تدريب وتطوير القيادات الناشئة.

يمكن المساهمة في ذلك من خلال استنتاج مخطط لتنمية الكفاءات القيادية وصناعة التميز، كما هو موضح في الشكل التالي، تم استخلاصها انطلاقا من تفحص السنة النبوية والتجربة القيادية الناجحة للنبي محمد ﷺ.

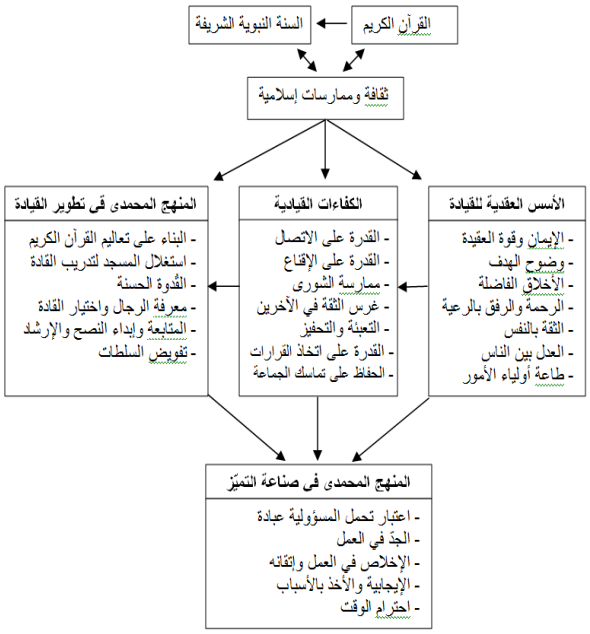

شكل 1: مقاربة إسلامية في تطوير الكفاءات القيادية وصناعة التميّز

مما سبق، يتضح لنا أنه يجب توفير شروط تطوير الكفاءات القيادية في المجتمعات الإسلامية، واعتماد المنهج النبوي في التنمية البشرية. يكون ذلك من خلال تدعيم الأسس العقدية للقيادة، وحصر عناصر الكفاءات القيادية، وبالتالي توفير شروط تطبيق المنهج المحمدي في تطوير القادة. كما يمكن الانتقال إلى مرحلة من الإعداد والتدريب والتطوير والمتابعة، وتحسين الأداءات للوصول إلى مرحلة متقدمة من التميّز.

وهكذا فإن السبيل الوحيد لإعادة مجد المسلمين الضائع، هو العودة إلى تطبيق مبادئ القيادة الإسلامية. وقد قال عمرُ الفاروق رضي الله عنه: (نحن أمّة أعزَّنا الله بالإسلام، ومتى ابتَغَينا العزّةَ من غير الإسلام أذلَّنا الله). وقال مالكُ بن أنس رحمه الله: "لن يُصلِح آخرَ هذه الأمّة إلاَّ ما صلُح به أوّلها". لذا على قادة الأمة وعلمائها البحث عن سبل الخلاص من واقعهم المؤلم، باعتماد إصلاح يعتمد المنهج المحمّدي في تطوير الكفاءات وصناعة التميز في مختلف النشاطات الاجتماعية والسياسية والعسكرية والمهنية.

12. خاتمة وتوصيات:

من خلال ما تم عرضه يمكن القول أن القيادة مفهوم واسع وشامل، فهي منهج ومهارة وعمل وسبيل للنجاح. وقد ارتبط مفهوم القيادة قديما بالحروب والمعارك حيث كانت الانتصارات في الحروب سببا رئيسيا في إظهار مواصفات القائد وشخصيته.

ولقد شهد العالم قيادات كثيرة سجلها التاريخ ولكن ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن أفضل قيادة شهدها التاريخ ولن يشهد لها مثيل فيما بعد، هي قيادة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، حيث جمع فيها بين القوة العسكرية والجوانب الإنسانية، الإدارية والتربوية.

وبعد خمسة عشر قرنا من نزول الرسالة، لا زال الإسلام قائما، رغم كيد أعدائه مما يبرز عظمة الصرح الذي بناه الرسول ﷺ، ولو أن هذه الأمة أصابها بعض الوهن لابتعادها عن المنهج المحمدي في القيادة.

إن عود هذه الأمة إلى سالف عهدها وقوتها، يتطلب منّا تثمين السنّة المحمدية الشريفة، من خلال الأخذ بالملاحظات التالية:

– رغم ظهور صحوة في دراسة القضايا الإسلامية ومحاولة ربط السنة النبوية الشريفة بالواقع الحديث في مختلف المجالات، إلا أن هناك نقص كبير، وبالتالي حاجة ملحة إلى دراسة المنهجية المحمدية في تطوير الكفاءات وصناعة التميّز.

– إن تداخل مجموعة من الاختصاصات العلمية في موضوع القيادة وتطوير الكفاءات، يتطلب إيجاد فرق بحث مشتركة من فقهاء ورجال الحديث وعلماء النفس وعلماء الإدارة والعلوم العسكرية، لدراسة موضوع القيادة المحمدية بعمق من كلّ الجوانب المتشعبة والمتداخلة، وأن دراسة موضوع القيادة من زاوية واحدة لا يفي الغرض.

– ضرورة إعداد بحوث لتقديم السنة النبوية عموما، بما في ذلك ما يخص القيادة وتطوير الكفاءات القيادية وصناعة التميز، في صورة نظرية متميزة قابلة للتطبيق في مختلف المجالات، حتى يقبل شباب الجامعات على دراستها وإثرائها وتطبيقها في الميدان.

لذا فما أحوج المسلمين اليوم إلى مزيد من الجهود العلمية والبحثية، والعودة إلى السنة النبوية الشريفة للكشف عن خفاياها واستغلالها لإخراج المسلمين من حلقة التخلف الذي يعيشونه.

وهو ما يمكن تحقيقه من خلال تنظيم نظري لمبادئ القيادة المحمدية، والعمل على تدريب النشء الصاعد عليها وممارستها على أرض الواقع، والله المستعان.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (سامي بن محمد السلامة– محقق)، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، 1420هـ / 1999م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1966م، ج 7 .

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية ج1، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1971، ط3.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام، مختصر سيرة بن هشام، وزارة الأوقاف: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1421. هـ / 2000م ط4.

بوشارب، عبد السلام، الإفادة في اختيار القادة، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.

حنفي، عبد الغفار، السلوك التنظيمي وإدارة الأفراد، الدار الجامعية، بيروت، 1991.

رضا، أكرم. برنامج تدريب المدربين: كيف تكون مدربا مؤثرا، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1427هـ/ 2003م، ص 34.

الشريف، طلال عبد الملك، الأنماط القيادية وعلاقتها بالرضا الوظيفي من وجهة نظر العاملين بإمارة مكة المكرمة. ماجستير في العلوم الإدارية، جامعة الرياض، السعودية، 2003.

عرموش، أحمد راتب، قيادة الرسول السياسية والعسكرية، دار النفائس، بيروت، 1412هـ / 1991م، ط 2.

غيات، بوفلجة. التربية من أجل الفعالية. الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2008.

غيات، بوفلجة. مبادئ التسيير البشري، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، (ط3).

فرج، محمد، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1419 هـ/1998م.

كورتوا، ج. ترجمة الأيوبي الهيثم، لمحات في فنّ القيادة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980م.

مسلم محمد، مقدمة في علم النفس الاجتماعي، دار قرطبة، الجزائر، 2007م، ص 134.

المصري، محمد أمين، المجتمع الإسلامي، دار الأرقم، الكويت 1403 هـ / 1983م.

الهوامش:

[1]. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، السيرة النبوية ج1، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1971، ط3. ص359 .

[2] عرموش، أحمد راتب، قيادة الرسول السياسية والعسكرية، دار النفائس، بيروت، 1412هـ / 1991م.

[3] فرج، محمد، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1419 هـ/1998م.

[4]. سورة الفرقان /7.

[5]. فرج محمد، مرجع سابق، ص 415.

[6]. عرموش، أحمد راتب، مرجع سابق، ص 10.

[7]. ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى، ج. 16. دار الكتب العلمية، بيروت. ص 179.

[7]. مسلم محمد، مقدمة في علم النفس الاجتماعي، دار قرطبة، الجزائر، 1428 هـ / 2007م، ص 134.

[9]. بوشارب، عبد السلام، الإفادة في اختيار القادة، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 21.

[10]. غيات بوفلجة، مبادئ التسيير البشري، دار الغرب، وهران، 2008، ص 80.

[11]. عرموش، أحمد راتب، مرجع سابق، ص 153.

[12]. سورة الضحى / 6 – 11.

[13]. سورة الأحزاب/72.

[14]. سورة الحشر/ 21.

[15]. رواه الطبراني في مسند الشاميين، رقم 1141.

[16]. سورة فصلت / 33.

[17]. سورة الذاريات / 56.

[18]. النساء /59.

[19]. رواه الترمذي، عن أبي هريرة، السنن الكبير للبيهقي، كتاب الشهادات، باب، بيان مكارم الأخلاق، رقم 19096

[20]. سورة القلم / 4.

[21]. واه الطحاوي، مشكل الآثار، باب ما روي من خلق رسول الله ﷺ، رقم 3792

[22]. رواه أبو داود في صحيحه، رقم 4798.

[23]. آل عمران/ 159.

[24]. سورة الفتح/29.

[25]. رواه الطبري في تاريخه، 3/60-61.

[26]. سورة النساء / 58.

[27]. سورة المائدة / 8.

[28]. رواه الترمدي في جامعه، باب: ما جاء في الإمام العادل، رقم 1313

[29]. صحيح البخاري، كتاب المغازي، رقم 4077.

[30]. سورة النساء/ 59.

[31]. حنفي، عبد الغفار، السلوك التنظيمي وإدارة الأفراد، الدار الجامعية، بيروت، 1991.

[32]. سورة طه / 27 -28.

[33]. سورة القصص / 34

[34]. سورة الشورى/ 38.

[35]. سورة آل عمران / 159.

[36]. عرموش، أحمد راتب، مرجع سابق، ص 46.

[37]. رواه البخاري في صحيحه، أبواب صلاة الخوف، رقم 918

[38]. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1966م، ج 7 – ص 18.

[39]. المصري، محمد أمين، المجتمع الإسلامي، دار الأرقم، الكويت 1403 هـ / 1983م، ص 31.

[40]. كورتوا، ج. ترجمة الأيوبي الهيثم، لمحات في فنّ القيادة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1400 هـ / 1980م، ص 97.

[41]. سورة الجمعة / 2.

[42]. سورة ص / 29.

[43]. سورة آل عمران/ 104

[44]. سورة الأحزاب/ 21.

[45]. بن كثير، إسماعيل بن عمر (سامي بن محمد السلامة- محقق)، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، 1420هـ / 1999م.

[46]. رواه البخاري. فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ٤٠٥/١١ ،رقم (٦٤٩٨ ،)

[47]. رواه أبو هريرة. رياض الصالحين، كتاب الأمور المنهى عنها، باب ذم ذو الوجهين، حديث رقم 1540

[48]. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم 3512

[49]. رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم 111.

[50]. رواه أبو داود في كتاب كيف القضاء ، باب اجتهاد الرأي في القضاء ، الحديث 3592 : 303/3 .

[51]. رضا أكرم، برنامج تدريب المدربين: كيف تكون مدربا مؤثرا، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1427هـ/ 2003م، ص 34.

[52]. الشريف، طلال عبد الملك، الأنماط القيادية وعلاقتها بالرضا الوظيفي من وجهة نظر العاملين بإمارة مكة المكرمة. ماجستير في العلوم الإدارية، جامعة الرياض، السعودية، 2003، ص 82.

[53]. سورة التوبة / 32.

[54]. رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب الطاعات، رقم 6756

[54]. رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم 6158.

[56]. سورة النساء / 29.

[57]. رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم، من غشنا.

[58]. رواه الترمدي وقال حديث حسن، باب صدق التاجر وأمانته، رقم 3496.

[59]. مسند أبي يعلي الموصلي، مسند عائشة، رقم 4272.

[60]. التوبة/ 105.

[61]. الزلزلة/ 7- 8.

[62]. أخرجه الترمذي برقم (4415)، وحسنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر – (23/1)

[63]. غيات، بوفلجة. التربية من أجل الفعالية. الجزائر: دار الغرب للنشر و التوزيع، 2008، ص 65.

[64]. سورة النساء/ 103.

[65]. عرموش، أحمد راتب، مرجع سابق، ص 12.

[66]. المصري، محمد أمين، مرجع سابق، ص 32.